# التصوف في الإسلام ومدارسه، المدرسة الرفاعية أنموذجاً

# Mysticism in Islam and its Schools Elrifaiya School as a Model

م.د . حيدر خضير رشيد
جامعة ديالى / كلية التربية

م. د. عبد صالح محمد علي
جامعة الانبار / كلية الآداب

PHD Instructor Haider Khuder Rashid
University of Diyala The college of Education of Human sciences

PHD Instructor Abed Saleh Mohammed Ali
University of AL- Anbar The College Arts

الموقع الالكتروني:

Email :Hader-yahoo.com
Email :abd-salh.com

الكلمة المفتاح:[١٩٧٠]

**الملخص:**

يعد الباحثون في مجال الفكر الإسلامي الولوج في بعض قضايا التصوف من القضايا الصعبة وذلك لأن هذا المجال أدخل الكثير في الوقوع بالخطأ والانحراف عن الحق ولنا في هذا المضمار الامثلة الكثيرة إذ يتكلم المتصوفون بلغتهم الخاصة ولا يفهمها العامة والبعض منهم أتهم بالزندقة والانحراف والكفر ولكن في الحقيقة هم بعيدون كل البعد عن هذا المسار لأن كلامهم فلسفي ولا يعيه الا من كان مطلعا عن أحوالهم وسلوكهم ،جاء البحث بملخص ومقدمة وثلاثة مباحث تضمن المبحث الأول تعريف التصوف ،وأصالته ،ومقاماته ومدارسه ومنهجه في التربية والمبحث الثاني تضمن دراسة الشيخ أحمد الرفاعي حياته وسيرته واحداث عصره والمبحث الثالث تضمن منهج المدرسة الرفاعية ، ووسائلها، ومرتكزاتها، والخاتمة لخصت ما توصل اليه البحث، والله الموفق.

**المقدمة:**

ان البحث في الطرق الصوفية ينحى على منحيين، فدارس يدرس التصوف من داخله، فيكتب عن اسراره وكشوفاته فيرهق عقول الناس بما لا يستطيعون ادراكه وتحمله مما يدفعهم الى تكذيبه، وهم بذلك يقعون في الإثم لأنهم يكذبون صحيحا ويغمطون حقا، والكاتب يكون سببا في تكذيبهم وأثمهم. والمنحى الاخر الذي انتهجه قسم من الباحثين هو الكتابة عن التصوف من خارجه، مما يدفعهم الى اسقاط مفاهيمهم ومفاهيم مدارسهم التي ينتهجونها على التصوف، فيظلمون التصوف ويظلمون انفسهم .او هم اصحاب نوايا مبيته يقصدون ما يكتبون فيسيئون بقصد موهمين القارئ بأنهم يعلمون الحق٠ ففي هذا البحث نحاول نهج الوسطية بلا إجحاف ولاظلم ولا تطرف عن مدرسة في التصوف ذاع صيتها خطت لها منهجا يكاد يكون مستقلا عن مناهج المدارس الصوفية الأخرى وهي المدرسة الرفاعية في التصوف مما طرأ عليها واعادتها الى حضيرة الشريعة الناصعة البياض، لكنها لم تغمط حقوق الاخرين من المدارس الأخرى، ومما درجوا عليه من مناهج .فالغاية واحدة وان اختلفت المناهج فقسم البحث الى ثلاثة مباحث المبحث الاول تناول التصوف، تعريفه واصالته، نشأته ومقاماته ومدارسه، لكي أفضي إلى الجزئية التي اريد البحث عنها، المبحث الثاني تناول ترجمة السيد أحمد الرفاعي ومؤلفاته وشيوخه، وسند خرقته باعتباره الواضع الاول لأسس هذه المدرسة، المبحث الثالث تناول المدرسة الرفاعية والاسس التي تقوم عليها ،وطريقة تربيتها لاتباعها (المريدين) والله الموفق.

**المبحث الأول:**

**١- تعريف التصوف**

اختلف الباحثون في اصل كلمة (التصوف)هي من (الصفة) واصحابها على عهد رسول الله﴿ ﷺ ﴾ ام الصفا : من الصوف. فالنسبة الى الصفة وإلى الصفاء لا تستقيم لغة، فهل هذا هو الاصل؟ يقول القشيري[١]:هذه التسمية غلبت على هذه الطائفة، فيقال رجل صوفي وللجماعة الصوفية، زمن يتوصل إلى ذلك يقال له متصوف، وللجماعة المتصوفة، وليس يشهد لهذا الاسم من حيث العربية قياس ولا اشتقاق، والاظهر فيه انه كاللقب. ويقول الهجويري[٢] :وقد تكلم الناس في تحقيق هذا الاسم كثيرا، والفوا كتبا في ذلك، وقالت جماعة ان الصوفي يسمى بالصوفي لأنه يلبس ثياب الصوف، وقالت جماعة أنهم سموا صوفية لأنهم في الصف الأول، وقالت ايضا انهم سموا كذلك لأنهم يتولون أهل الصفة، وقال آخرون إنّ هذا الاسم مشتق من الصفاء ،ولكن هذا الاسم على مقتضى اللغة بعيد عن هذه المعاني. بينما يقول الكلاباذي[٣]:انها طائفة سميت بالصوفية لصفاء اسرارها ونقاء اثارها، وقال بشر الحافي :الصوفي من صفا قلبه لله، وقال بعضهم الصوفي من صفت لله معاملته فصفت له من الله عز وجل كرامته. وخلاصة القول مما تقدم أرى أنها نسبة إلى الصوف لأنهم مالوا إلى لبس الخشن من الثياب ،وإلى الصفاء لأنهم جفوا الدنيا وكدوراتها وأقبلوا على الله بكليتهم ،وإلى الصفة لأنهم شابهوهم في الانقطاع عن الدنيا إلا بقدر الضرورة، والى الصف الأول لأنهم في الصف الأول باجتهادهم في تنقية أنفسهم واقبالهم على الله تعالى. وقد أجمع الكاتب على انها من الكلمات الاصطلاحية التي طرأت في اواخر القرن الثالث الهجري[٤] كمعنى اصطلاحي بفن من فنون الكلام الذوقي ، فيقول الحسن البصري :﴿ أدركت سبعين بدريا لباسهم الصوف[٥]) وقال ابو موسى الأشعري في وصف الرسول﴿ ﷺ ﴾ (أنه كان يلبس الصوف ويركب الحمار) وقال أيضا: يا بني

لو رأيتنا ونحن مع نبينا﴿ ﷺ﴾إذ اصابتنا السماء وجدت منا ريح الضأن من لباسنا الصوف[٦].نشأ التصوف نشأة إسلامية، فقد ظهرت بذوره الاولى في نزعات الزهد التي سادت العالم الإسلامي في القرن الأول الهجري ،وكان توأمه الانصراف عن الدنيا ومتاعها والعناية بأمور الدين ومراعاة الأوامر الشرعية ،وكانت غايته التي يتطلع أليها العباد والزهاد هي الظفر برضوان الله والنجاة من عقابه[٧].فالتصوف يهتم بتهذيب النفس وصلة الأنسان بخالقه، ويتجه به وجهة روحية، ويدفعه إلى عمل الخير لوجه الخير لا رغبة في حياة أو مال، والى ترك الشر للشر لا خوفا من السوط والسيف. ومعنى هذا ان مبدأ التصوف يقر بوجود الفضيلة كحقيقة واقعية لها وجود مستقل عن المشاعر والاستحسانات والرغبات[٨].وذهب رجال الصوفية مذاهب شتى في تعريفه تعريفات ذوقية كل حسبما يراه ، وهذه التعريفات تربو على الألفي تعريف[٩] .قال الجنيد البغدادي : ذكر مع اجتماع ،ووجد مع استماع، وعمل مع اتباع ،وقال ايضا: الصوفي كالأرض يرمى عليه كل قبيح ولا يخرج منه إلا كل مليح[١٠]،وقال الكتاني: التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الصفاء[١١] ،وقال رويم: التصوف مبني على ثلاث خصال ،التمسك با لفقر والتحقق بالبذل والإيثار وترك التعرض للاختبار ،وقال معروف الكرخي : التصوف الأخذ با لحقائق والياس مما في ايدي الخلائق، فمن لم يتحقق بالفقر لم يتحقق بالتصوف ،وقال ابو حفص :التصوف كله أداب ولكل وقت أدب، ولكل حالة ادب، ولكل مقام ادب، فمن لزم أداب الاوقات بلغ مبلغ الرجال ،ومن ضيع الآداب فهو بعيد من حيث يضن أنه القرب ،ومردود من حيث يرجو القبول[١٢].وعرفه الدردير: بانه علم يعرف به صلاح القلب وسائر الجوارح[١٣].وقال بعضهم :الصوفي من لا يملك ولا يُملك[١٤].وقال السيد أحمد الرفاعي التصوف: الاعراض عن غير الله ،وعدم شغل الفكر بذات الله والتوكل على الله [١٥].

## ٢- أصالة التصوف الأسلامي

لقد دس المستشرقون نفوذهم في كل مفصل من مفاصل الحضارة العربية الإسلامية ،وأكثر شيء تعرض له الدس هو الفكر الاسلامي .فقد زعم البعض أن التشيع من أصل يهودي ،وآخرون قالوا من أصل نصراني[١٦] ،وزعموا كذلك أن التشريع الإسلامي متأثر بالقانون الروماني ،وأن محمداً ﴿ ﷺ ﴾ تعلم هذا الدين من رجل يهودي ،فوضع القرآن من تأليفه هو[١٧] ولكنهم يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين إذ كانت معجزه رسول الله ﴿ ﷺ ﴾ أميته ..فالأمية في كل شخص عيب ونقصان إلا في شخصية الرسول ﴿ ﷺ ﴾ كانت اعجازا وكمالا. والتصوف الإسلامي من المواضيع التي كانت مرتعا خصبا لأمراض المستشرقين النفسية ،اذ حاولوا ان يرجعوه الى الإشراقات الهندية أو الغنوصية اليونانية متأثرين بالمذهب الفلسفي الذي يرجع الى الطقوس السرية لجمعيات دينية في الشرق والغرب .او مذهب التصوف الاشراقي في الفلسفة الذي يزعم ان الله يعرف عن طريق رابطه مباشرة مع العالم الأخر[١٨] .بدون النظر الى الأصول الاسلامية للتصوف الإسلامي من القرآن والسنة النبوية المطهرة .ومما نقله الصحابة الأطهار من الرسول ﴿ ﷺ ﴾ وقد لف لفهم كتاب عرب ومسلمون من أبناء جلدتنا[١٩] . أذ يقول آدم متز[٢٠] :(أحس المسلمون من أعماق نفوسهم بحاجات جديدة في الدين منذ القرن الثالث، وسرعان ما تقدمت لسد هذه الحاجات الديانات القديمة التي كانت دائما مستترة وراء ستار ظاهري ولا سيما النصرانية، وأن الحركة التي غيرت صورة الاسلام خلال القرنين الثالث والرابع ليست في مجموعها سوى نتيجة لدخول التيارات الفكرية النصرانية في دين محمد ﴿ ﷺ ﴾ويقول محمد عبد الله السمان [٢١] . (والمزدكية التي تشرك مع المانوية في الاثينية وتنفرد في الأباحة المطلقة، وهما معا غذاء خصب للزندقة. والباطنية والقرامطة اللاتي قامت على العقيدة العامة،أي وحدة الاديان هذه الفروق وغيرها كانت رصيدا كبيرا ضخما للنظريات الصوفية المشهوره من الحلول ووحدة الوجود وما إليها) ويقول الدكتور محسن بن عبد الحميد [٢٢] . :(ظهرت منذ عصر الجنيد بوادر انحرافات واضحة تمثلت بشطحات الحلاج التي كانت نتيجة طبيعة

لثقافات أجنبية متنوعة دخلت المجتمع الاسلامي)هذا غيض من فيض ،وقليل من كثير ،ونماذج من كتب ،وكتاب لا يجمع بينهم زمان ولامكان .لم تستطع فهم التصوف و لا هضم افكاره ولاشطحات المتصوفة الذين سكروا من رؤية النور الذي ملأ نفوسهم وقلوبهم ،والحب الذي يسري في دمائهم ،حب الله ورسوله فالتصوف الإسلامي اسلامي الجذور والمفاهيم إسلامي الأرض والري، فقد نبت في قلوب المسلمين في ظل راية القرآن فسقته محبة رسول الله﴿ ﷺ ﴾وذمته مجاهدة النفس ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ (٢٣) . واذا رجعنا الى السيرة النبوية العطرة ،وحياة الصحابة الأطهار "رضي الله عنهم" وجدنا تلك الجذور الاصلية للتصوف. كانت الحياة في عهد الرسول﴿ ﷺ ﴾ وعهد الصحابة بسيطة منحصرة في مجتمع الجزيرة العربية وتقاليده، ولم تكن واسعة المطالب ولا متشبعة الافكار .وكان قرب عهد الصحابة ﴿ رضي الله عنهم ﴾ بالنبي محمد ﴿ ﷺ ﴾ لم يكونوا بحاجة ماسة إلى كثير من العلوم التي برزت بعد ذلك من فقه واصول فقه وتفسير وغيرها. ولكن بعد اتساع الدولة الاسلامية واختلاط العرب المسلمين بمسلمين غير عرب جدد يحملون رواسب الديانات السابقة ،ومحاولة تطبيق المفاهيم التي كانت سائدة عندهم والفلسفات النابعة منها ،برز عدد غير قليل من العلماء المخلصين الى تنقية فكر الاسلام والحفاظ على هويته، فبرز علماء الكلام والفقهاء والأصوليون والمحدثون. ونتيجة لميل عدد كبير من المجتمع الاسلامي الى الانغماس في الدنيا والرضا من الدين بالرسوم، مال عدد غير قليل الى محاربة الجانب المادي ،وطغيان الجانب الروحي لديهم ،ومحاربة نفوسهم التي تطلب الترف الزائل معتمدين على مفهوم الزهد في الفكر الاسلامي من قرآن وسنة نبوية مطهرة طالبين مقام الإحسان (أن تعبد الله كأنك تراه ،فإن لم تكن تراه فإنه يراك) (٢٤)،فالتصوف والاحسان في مفهوم واحد وان كان التصوف كلفظ عربي مستحدث عرف في القرن الثالث الهجري(٢٥).وعند معرفة مقامات الصوفية وطرقهم في تأديب نفوسهم وتهذيب تصرفاتهم، نرى مدى اتصال الفكر الروحي بالقرآن والسنة وأنه ليس بدعة كما يزعم البعض. ومما يعضد هذه الحقيقة أن التصوف الإسلامي يختلف في الهدف والسلوك عن المنهج المسمى بالتصوف غير الاسلامي مجازا، أي تصوف الأديان والمناهج الأخرى، وهو تصوف

تحدد مقامه الشريعة الاسلامية كتابا وسنة ووضح حقائقه كبار شيوخ الصوفية في مؤلفات قيمة قبل تسلل أفكار الفلاسفة وحكماء الشعوب الاخرى إلى الفكر الاسلامي في ميادين الاخلاق والنفس والفلسفة[٢٦].

## ٣- مقامات الصوفية

للصوفية مقامات في سيرهم الى الله تعالى ،يترقون من مقام الى مقام ،والمقامات لا يحس بها ألا من ذاقها واستقرت في قلبه وعقله ووجدانه وعرف معناها. وقد اختلف رجال التصوف في عددها ،فمنهم من أوصلها الى خمس وعشرين، ومنهم من توقف عند عشرة ،وغير ذلك .مختلفين في بعضها هل هي من المقامات أم من الأحوال، لأن ذلك يطول على عجالة مثل هذه التي بين يدي. وأولى هذه المقامات:

### ١-التوبة:

التوبة هي الخطوط الاولى والباب المنفرد للدخول في طريق القوم .والتوبة معناها الرجوع والعودة ،وفيها معنى طلب الوقاية والبعد عن شر ما يخافه الأنسان في المستقبل من سيئات أعماله، وعرفها العلماء بانها الرجوع الى الله تعالى بالتزام فعل ما يجب وترك ما نكره، وهناك من يصور معناها بانه علم بضرر الذنب وتألم بالقلب بسبب ذلك[٢٧]. وقد أمر الأنبياء ﴿ عليهم السلام ﴾ أقوام بالتوبة فإبراهيم﴿ عليه السلام ﴾خاطب ربه عز جل ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾. [٢٨]وهود"عليه السلام"يقول لقومه﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ﴾. [٢٩]وشعيب﴿ عليه السلام ﴾يقول لقومه﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾. [٣٠] وفي سورة التوبة يجعل الله تعالى أول صفة يذكرها لأولئك الذين اشتروا الجنة من ربهم بيع نفوسهم وأموالهم ،فيقول﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [٣١].وقد أطال الصوفية في تعريفها وشرحها

وجعلوها البداية في سلم المقامات ،فمن لم تصح توبته لا يصح منه عمل، وقد عرفها الجنيد البغدادي(هو نسيان ذنبك).وسئل سهل التستري عن التوبة فقال:(هو أن لا تنسى ذنبك) [٣٢].

## ٢- الإخلاص

كلمة الاخلاص تدعو إلى الصفاء والنقاء والتنزه والخلاص من الشوائب، والشي الخالص هو الصافي الذي ليس به شائبة مادية أو معنوية، كما في قوله تعالى ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾ [٣٣]،والخلاص-بكسر الخاء ما أخلصته النار من الذهب وغيره، وكذلك الخلاصة-بضم الخاء-.وفي الإخلاص أيضا معنى السلامة والنجاة ،لأنه يقال: خلص فلان من كذا وكذا إذ سلم منه ونجا .وفيه ايضا معنى الصدق والطهارة، يقال:اخلص فلان لفلان في وده اذ كان صادقا طاهرا فيه. اما معنى الاخلاص الديني الأخلاقي فهو تجريد قصد التقرب إلى الله عن جميع الشوائب والعلل [٣٤].وقد عرفه الجنيد :الإخلاص ما أريد به الله من أي عمل كان [٣٥].وقال رويم :الاخلاص ارتفاع رؤيتك عن الفعل [٣٦].ويقول ذو النون المصري :ثلاث من علامات الإخلاص :استواء المدح والذم من العامة، ونسيان رؤية الأعمال في الأعمال ،ونسيان اقتضاء ثواب العمل في الأخرة[٣٧].وقد أمرنا الله تعالى في كتابه العزيز بالإخلاص في العبادة ،وأن لا نشرك به شيئا، فقال﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [٣٨]وقال عز وجل﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ [٣٩].وقال عز وجل﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ*أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [٤٠].وجاء في الحديث عن شداد بن اوس ﴿ رضي الله عنه ﴾ أنه سمع النبي ﴿ ﷺ ﴾ يقول(من صام برائي فقد أشرك ،ومن صلى برائي فقد أشرك ،ومن تصدق برائي فقد أشرك) [٤١].

**٣- الزهد:**

يقول القشيري: اختلف الناس في الزهد، فمنهم من قال :الزهد في الحرام لأن الحلال مباح من قبل الله تعالى ..ومنهم من قال: الزهد في الحرام واجب وفي الحلال فضيلة[٤٢].والزهد مقام شريف ،وهو اساس الأحوال الرضية والمراتب السنية، وهو أول قدم القاصدين إلى الله عز وجل ،والمنقطعين إلى الله والراضين عن الله والمتوكلين على الله[٤٣].وقد عرفه رجال التصوف ،فقالوا عن الزهد ..فقد قال الجنيد : الزهد خلو الايدي من الأملاك والقلوب من التتبع[٤٤].وسئل الأمام علي بن أبي طالب ﴿ ﷺ ﴾ عن الزهد فقال: هو من لا تبالي من أكل الدنيا من مؤمن أو كافر[٤٥].وقال مسرور: الزاهد الذي لا يملكه مع الله سبب[٤٦]. والزهد ليس معناه ضيق ذات اليد ،ولبس المرقع. ولكنه أن تأتي الدنيا إلى يديك وتخرج من يديك، اما قلبك فهو دائم الأشغال بذكر الله مع الله ،راض عن الله في كل حال. يقول شيخ الإسلام الهروي ﴿ رحمه الله ﴾ :(الزهد اسقاط الرغبة بالكلية)[٤٧].

**٤- الورع:**

الورع هو ترك الشبهات ،وقيل جاءت أخت بشر الحافي إلى أحمد بن حنبل وقالت:(إنا على سطوحنا فتمر بنا مشاعل الظاهرية ويقع الشعاع علينا ، افيجوز لنا الغزل في شعاعها[٤٨]؟ فقال احمد: من أنت عافاك الله. فقالت :أخت بشر الحافي .فبكى أحمد وقال: من بيتكم يخرج الورع الصادق ،لا تغزلي ومراتب الورع ثلاث[٤٩]:

ا- **ورع العوام:** هو ترك الشبهات حتى لا يتردى في حمئة المخالفات اتباعا لإرشاد رسول الله في قوله :(إنّ الحلال بين، وإنّ الحرام بين وبينهما أمور متشابهات ،لا يعلمها كثير من الناس ،فمن اتقى الشبهات فقد استبرئ لدينه وعرضه ،ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه ألا وان لكل ملك حمى الأوان حمى الله محارمه) [٥٠] .

**ب- ورع الخواص** : ترك ما يكدر القلب ويجعله في قلق ظلمة ،فأهل القلوب يتورعون عما يهجس في قلوبهم من الخواطر وما يهجس في صدورهم من الوسواس

،وقلوبهم الصافية اعظم منبه لهم حين يترددون في أمر أو يشكون في حكم ،كما أشار إلى ذلك رسول الله ﴿ ﷺ ﴾(دع ما يريبك إلى ما لا يريبك) [٥١]

**ت- ورع خواص الخواص:**رفض التعلق بغير الله تعالى ،وسد باب الطمع في غير الله تعالى،وعكوف الهم على الله تعالى، وعدم الركون الى شيء سواه.

**٥-المحاسبة:**

هي وجود وازع ديني في داخل الشخص يمنعه من الدخول بدوامة الإثم أو الاقتراب منها ،فهو يلوم نفسه ويعنقها على الذنب إذ ارتكبه أو فكر فيه. أو هو يحاسب نفسه على ما فرط من وقت لم يستغله في طاعة الله وفي ذكره. قال ﴿ ﷺ ﴾ (الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني ) [٥٢].ونقل عن أمير المؤمنين علي ﴿ رضي الله عنه ﴾انه قال :حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا ،وتزينوا للعرض الأكبر على الله ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾.فالمحاسبة بحفظ الأنفاس وضبط الحواس ورعاية الأوقات وإيثار المهمات[٥٣].

**٦-الشكر:**

إن مادة (الشكر)في اللغة تدل على الكرم والسخاء ،يقال :شكر فلان أي صار سخيا بعد أن كان شحيحا. وتدل على الزيادة والنمو ،فيقال :ناقة الشكرة أي تعتلف أي علف كان، فتزيد ويصبح ضرعها ملأن، والبداية الشكور هي التي يكفيها قليل العلف فتسمن عليه وتصلح. وقال الجوهري في تهذيب اللغة نقلاً عن الليث : أن الشكر هو عرفان الإحسان ونشره وحمد موليه والشكور من عباد الله تعالى هو الذي يجتهد في شكر ربه بطاعته وأداء ما وجب عليه من عبادته[٥٤]. وقد امرنا الله تعالى في كتابه العزيز بالشكر كما أمر أنبياءه وعباده الصالحين فقال ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [٥٥]. وقال ﴿ فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [٥٦]. وقال ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [٥٧]..ولم يعده أبو نصر السراج الطوسي من المقامات[٥٨].وقد عرفه أبو سعيد الخراز :الشكر الاعتراف للمنعم والإقرار بالربوبية[٥٩]. وقال يحيى بن معاذ: لست بشاكر ما دمت تشكر ،وغاية الشكر

التحير[٦٠]. وقال القشيري :حقيقة الشكر عند أهل التحقيق الاعتراف بنعمة المنعم على وجه الخضوع، وعلى القول بوصف الحق سبحانه وتعالى بأنه شكور توسعا، ومعناه أنه يجاز بالعباد على الشكر فسمى جزاء الشكر شكر[٦١].

**٧- الصبر:**

الصبر لغةً معناه الحبس والكف ،يقال :صبرت نفسي على ذلك الامر أي حبستها، وصبرت نفسي عن ذلك، أي كففتها. وفي الاصطلاح الاخلاقي الديني هو حبس النفس على ما يقتضيه العقل والشرع او عما يقتضيان حبسها عنه .وضد الصبر الجزع ولذلك جاء في القرآن الكريم ﴿أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾ [٦٢]..قال سهل في الصبر: انتظار الفرج من الله تعالى ،قال :وهو افضل الخدمة واعلاها. وقال غيره: الصبر أن تصبري والصبر معناه ألا تطلع فيه الفرج[٦٣]..وحقيقة الصبر تظهر طمأنينة النفس وطمأنينتها من تزكيتها، وتزكيتها بالتوبة. فالنفس أذا تزكت بالتوبة النصوح عنها الشراسة الطبيعية، وقلة الصبر من وجوه الشراسة للنفس وابائها واستعصائها[٦٤]..والرضا ثمرة من ثمار الصبر تستقر في القلب فتورث العبد الراحة والطمأنينة في جنب الله تعالى. قال أحمد بن حنبل ﴿ رحمه الله ﴾:الرضا ثلاثة اشياء: ترك الاختيار ،وسرور القلب بمر القضاء، وإسقاط التدبير من النفس حتى يحكم الله لها وعليها[٦٥]..

وقف رجل على الشلبي "رحمه الله تعالى" فقال له: أي صبر أشد على الصابرين؟ فقال: الصبر في الله تعالى، قال: لا. فقال الشلبي: الصبر لله، قال: لا، فقال: الصبر مع الله تعالى، قال :لا، فغضب الشلبي "رحمه الله" وقال :ويحك ؟فقال الرجل: الصبر عن الله عز وجل .فصرخ الشلبي "رحمه الله" صرخة كاد أن يتلف روحه[٦٦]..

**٨- التوكل:**

قال العارف بالله ابن عجيبه " رحمه الله" ( التوكل: ثقه القلب بالله حتى لا يعتمد على سواه، أو التعلق بالله والتوكل عليه في كل شيء ،علما بأنه عالم بكل شيء، ولان تكون في يد الله أوثق منك بما في يدك[٦٧].)وقد امرنا الله تعالى بالتوكل عليه، وعلق الإيمان الصادق الكامل التوكل بقوله تعالى﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِين﴾ [٦٨].

وقال سهل بن عبد الله: أول مقام التوكل أن يكون العبد بين يدي الله عز وجل كالميت بين يدي الغاسل يقلبه كيف يشاء. وقال ذو النون المصري عن التوكل :خلع الأرباب وترك الأسباب. وقال الجنيد البغدادي: التوكل اعتماد جواهر القلوب على الله بإزالة الأطماع عما سواه[٦٩]..لكن ليس معنى التوكل هو ترك الأسباب في الحياة الدنيا لأن تركها يعني فساد الحياة ،وانخلاع الأنسان من المهمة التي خلقه الله تعالى لها، وضياع معنى خلافته في الأرض. لكن أن لا يتعلق بالأسباب كليا، وإنما التوكل هو مباشرة الأسباب من أجل الحياة والكسب مع التوكل على الله في نتائج العمل، فليس كل من زرع حصد وليس كل من اجتهد نجح،. يقول الأمام الغزالي رحمه الله (قد يظن الجهال أن شرط التوكل ترك الكسب وترك التداوي والاستسلام للمهلكات، وذلك خطأ لان ذلك ليس من الشرع ،والشرع قد اثنى على التوكل وندب اليه، فكيف ينال ذلك بمحضورة[٧٠].). وهو على ثلاث درجات[٧١]:الأولى: التوكل مع الطلب ومعطاة السبب على نية شغل النفس ونفع الخلق وترك الدعوى. الثانية: التوكل مع اسقاط الطلب وغض العين عن السبب اجتهادا في تصحيح التوكل، وقمع تشرف الشمس وتفرغا إلى حفظ الواجبات. الثالثة: التوكل مع معرفة التوكل النازعة الى الخلاص من علة التوكل، وهو ان يعلم ان ملكة الحق تعالى للأشياء ملكة عزة لا يشاركه فيها مشارك، فيوكل شركته اليه.

**٩- <u>الفناء</u>:**

هو أن يفنى عنه الحظوظ فلا يكون له في شيء من ذلك حظ، ويسقط عنه التمييز فناء عن الأشياء كلها شغلا بما فني به كما قال عامر بن عبد الله :ما أبالي امرأةً رأيت أ م حائطا[٧٢]..فالفناء درجة لا يرى فيها العبد إلا الله تعالى، ويرى كل ما يأتيه من الله هو هدية لا يبالي بها أعلة كانت أم عافية. أغنى جاءت أم فقر فهو منجذب إلى الله مشغول بذكر محبوب لا يسلو عنه ولا للحظة. وقد اصطلح عليه البعض من الصوفية (السكر) والبعض الاخر اسموه (الغيبة) أي غائب عما حوله يشغل وقته كله في عبادة الله تعالى. وقد جعله الهروي "رحمه الله" في قسم النهايات وقال عن الفناء :هو اضمحلال ما دون الحق علما ثم مجدا ثم حقا[٧٣].

## ٤- مدارس التصوف ومناهجها في التربية

في مؤلفات من خاضوا في التأليف عن التصوف، وفي المقدمات التي كتبها المحققون لمؤلفات الصوفية سموا مدارسا للتصوف متعددة. فهذه المدرسة الاشراقية ويمثلها السهروردي وابن سينا ،وهذه مدرسة وحدة الوجود ويمثلها ابن سبعين . ثم اتهم الصوفية بالقول بالحلول كما اتهم الحلاج بذلك لقوله(أنا الحق)،ورغم تعدد التسميات إلا اني أرى أن التصوف ينقسم إلى مدرستين اساسيتين تندرج تحتها بقية المسميات.

**أ-مدرسةالسكر:**

وهذه المدرسة ضمت أولئك الذين تحدثوا وكتبوا بلغة لا يفهمها عامة الناس ،وليس كل الصوفية كما كتب ابو العلا عفيفي(المعروف عن الصوفية اطلاقا أنهم قوم لا يتكلمون بلسان عموم الخلق ، ولا يخوضون فيه الناس من مسائل علم الظاهر، وإنما يتكلمون بلسان الرمز والإشارة ،أما ظنا بما يقولون على من ليسوا أهلا له ،وأما لأن لغة العموم لا تفي بالتعبير عن معانيهم وما يحسونه في اذواقهم و مواجدهم) [٧٤]..فهنالك العشرات من الكتب الصوفية التي الفها رجال التصوف قديما وحديثا تتكلم بلغة مفهومه للعامة، ولكن الأحوال والمقامات لا يستطيع العامة إدراكها، لأنهم لم يتذوقوا طعمها ولم يلبسوا حلة القرب ولم يتذوقوا طعم الحب. يقول السهروردي في مقدمة كتابه هياكل النور): [٧٥]...(ايدنا بالنور وثبتنا على النور واحشرنا إلى النور واجعل منتهى مطالبنا رضاك، وأقصد مقاصدنا ما يعدنا ،لأن نلقاك ظلمنا نفوسنا لست على الفيض بضنين اسارى الظلمات بالباب قيام ينتظرون الرحمة ويرجعون الخير .الخير دأبك اللهم والشر قضاؤك..) فتكرار كلمة النور هنا دون اضافتها الى كلمة اخرى توضح مقصدها ،جعلتها رمزية لكنها واضحة ،فهو يقصد (ايدنا بنور الهداية وثبتتها على نور الاستقامة واحشرنا إلى نور الجنة..) والحلاج الذي قامت له الدنيا وما قعدت اخذ الكتاب ينظرون لما كتب ويفلسفون ما قال، ويتهمونه بالإشراقات الهندية، ولعل كتابه(الطواسين)الذي كان مرتعا خصبا للمستشرقين ولنعرض قسماً من اقواله وأشعاره محاولين الاقتراب من

الفهم الصحيح لما يريد لا لما فهم المستشرقون والكتاب الذين كتبوا عنه:

١- قوله : ( ﷺ )

أنا الحق والحق حق لابس ذاته فما ثم فرق

يعلق عليه المحقق(هذا يشير الى الفناء في الذات الاقدس وهي ما يعرف بوحدة الوجود) [٧٦]..وأرى أن هناك تبايناً واضحاً وبوناً شاسعاً ،بين ما يريد الحلاج من بيته هذا وبين وحدة الوجود. فوحدة الوجود هي تعاليم فلسفية تذهب إلى أن الله مبدا لا شخصي ليس خارج الطبيعة، ويرفض العنصر الخارق للطبيعة[٧٧]..بينما يريد الحلاج من قوله هذا أنه آية من آيات الله، فخلق الانسان من الآيات التي تبين عظمة الخالق﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ*وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [٧٨]..او هو أراد أن روحه وجسده منشغلة بذكر الله وطاعته، لا يفتر عن ذلك لكنه رمز ولم يضيف المعنى الى كلمة توضيحية.

٢-قوله في طاسين الفهم(ضوء المصباح علم الحقيقة، وحرارته حقيقة الحقيقة، والوصول إليه حق الحقيقة) [٧٩].. فهنا أطلق على العلم مصطلح ضوء المصباح ،وقسم مراتب اليقين ولكن بصورة رمزية. ومراتب اليقين ثلاثٌ[٨٠].:

أ- علم اليقين: ويعني التصديق الذي لا يرقى الى درجة الاطمئنان التام، وقد سمي اليقين (حقيقة) ليس الا، وهي التي ذكرها الله ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ [٨١]..

ب- عين اليقين : ويعني التصديق الذي يرقى الى درجة الاطمئنان التام باشتراك قسم من الحواس في ادراك ذلك، وهنا اصطلح على اشتراك قسم من الحواس(بحرارة المصباح) فقد اشتركت حاسة المس .وهي التي ذكرها الله تعالى﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ﴾ [٨٢].،فهنا المجرمون رأوا جهنم لكنهم لم يدخلوها.

ج- حق اليقين :وهو التصديق الذي يرقى الى درجة الأطمئنان باشتراك جميع حواس الأنسان في الاطمئنان﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ [٨٣]..فهل هذا من الصعب فهمه ،

ولولا خشية الإطالة لذكرت أمثالا أخرى هنا. أما الذين ارجعوا هذا الفن إلى الاشراقات الهندية ،فهل البحث عن الجمال والخير إذا كان في فلسفة بوذا ننكره نحن وقرآننا الكريم يدعوا إلى الخير في الدنيا والخيرة في الآخرة. فإذا كانت الحقائق السامية الأربع من مرتكزات فلسفة بوذا، وهي طرائق لتخليص النفس أو أنها عبارة عن السيل التي تؤدي إلى النور وهذه الحقائق لتخليص النفس او انها عبارة عن السيل التي تؤدي إلى النور وهذه الحقائق هي(٨٤). :

اولا- الحقيقة الأولى :أن سبب الحياة ألم ولا شيء فيها غير العذاب والألم.

ثانيا- الحقيقة الثانية: ان سبب الألم هو الجهل، والجهل يولد الرغبة.

ثالثا- الحقيقة الثالثة: أن التغلب على الجهل يؤدي إلى التغلب على الرغبة.

رابعا- الحقيقة الرابعة: استئصال جذور الشقاء الثلاثة(الشهوة، الكره والجهل) .أذا كان هذا لب الفلسفة الهندية، فهل هذا لب التصوف؟ فيما مضى من هذا البحث جواب كاف.

**٢- مدرسة الصحو:**

وهذه المدرسة عليها أغلب رجال الصوفية منذ عصر الحسن البصري ورجال آل البيت الأطهار والسري السقطي ومعروف الكرخي والشيخ عبد القادر الكيلاني والسيد أحمد الرفاعي وغيرهم كثير .هذه المدرسة التزمت الكتاب والسنة، والزمت المذاهب الفقهية الاربعة، فقد كان الشيخ عبد القادر الكيلاني فقيها حنبليا، والسيد احمد الرفاعي فقيها شافعيا ،والجنيد البغدادي كان يفتي في بغداد على مذهب أبي ثور في حلقته بحضوره(٨٥). يقول الامام أبو حامد الغزالي "رحمه الله"(٨٦).:

**الأمر الأول** : اعتقاد صحيح لا يكون بدعة .

**ألأمر الثاني** : توبة نصوح لا يرجع بعده إلى الله.

**الامر الثالث:** استرضاء الخصوم حتى لا يبقى لأحد عليك حق. ألأمر الرابع: تحصيل علوم الشريعة قدر ما تؤدي به أوامر الله تعالى . وقد نهى رجال هذه المدرسة عن

الشطح والتحدث بأقوالهم، يقول السيد أحمد الرفاعي[٨٧]. بلغني عن بعض رجال العصر أنه يقول:

عقدت بباب الدير عقدة زناري وقلت خذوا لي من الحمى ثاري

يريد بذلك معان أُخر، إياكم والقول بمثل هذه الأقاويل، حسن الظن يلزمنا بسيدنا الشيخ ولكن أدبنا مع الدين الزم، ووقوفنا مع الحق أهم ،لا نعتقد الزنار ولا نمر على باب الدير ونقبل يد الفقيه ورجله ونطلب منه علم ديننا، ونقول طلب الشيخ مقاصد سترها بهذه الألفاظ ،وليته لم يطلبها ولم يسترها، ويقول عوضا عنها:

حللت بباب الشرع عقدة زناري وأظهرت بالفقه الألهي اسراري
وما الدير والزنار إلا ضلالة وما الشرع ألا باب الوصول بالباري

ويقول الشيخ تاج الدين بن عطا الله السكندري[٨٨]. (يا عبد الله دينك هو رأس مالك، فاشغل لسانك بذكره، وقلبك بمحبته، وجوارحك بخدمته، وأحرت وجودك بالمحارث حتى يجيء البذور فينبت، ومن فعل قلبه كما يفعل الفلاح بارضه أنار قلبه).ومن وصية أبي عبد الرحمن السلمي[٨٩]. (اوصيك بإيثار طاعة الله تعالى واجتناب مخالفته، وترك الركون الى الخلق والاعتماد عليهم، وإياك والرجوع إليهم في كل شيء من اسبابك ،بل يكون رجوعك إلى الله وتوكلك عليه).هذا بعض من أقوال رجال هذه المدرسة ،والبقية أكثر بكثير ،والذي يهمنا من مدرسة الصحو هو المدرسة الرفاعية، موضوع بحثنا هذا.

**المبحث الثاني**

**١-حياته وسيرته:**

اسمه :هو أحمد بن علي بن يحيى بن ثابت بن الحازم بن أحمد بن علي بن الحسن. ولقبه :لقب برفاعة المكي الاشبيلي بن الحسن بن الحسين بن موسى الثاني بن ابراهيم المرتضى بن الامام موسى الكاظم بن الامام جعفر الصادق بن الامام محمد الباقر بن الامام زين العابدين بن الامام الشهيد الحسين ابن الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(٩٠)

كنيته: يكنى بأبي العباس ولقب بالرفاعي وأمه الولية الصالحة أم الفضل فاطمة النجارية بنت الشيخ أبي سعيد بن الشيخ كامل بن الشيخ يحيى الكبير بن الامام الصوفي الشهير محمد بن أبي بكر الواسطي ابن موسى بن محمد بن منصور بن خالد بن زيد بن أيوب بن خالد ابي أيوب بن زيد الأنصاري النجاري الصحابي الجليل ﴿ ﷺ ﴾ (٩١).

**ولادته :**

ولد ﴿ ﷺ ﴾يوم الخميس من النصف الأول من شهر رجب المبارك سنة(٥١٢هـ ) في قرية حسن. توفي يوم الخميس ثاني عشر من جمادي الاولى سنة (٥٧٨ هـ ) وكان يوما مشهودا، ودفن في أم عبيدة في قبته المباركة المشهورة. فمدة حياته ﴿ ﷺ ﴾ (٦٦)سنة (٩٢).

**صفاته وأخلاقه:**

كان السيد أحمد الرفاعي(أزهر يميل إلى السمرة جميل الصورة منير الوجه حسن الهيئة أسود ألعينين وهما تلمعان بالذكاء والتواضع، تبدو عليه امارات الشفقة والرحمة شديد نحول الجسم، له لحية سوداء في أسفل الذقن لا تزيد عن قبضة اليد، واسع الجبهة حلو الابتسامة لا يقهقه عذب الحديث رقيق اللهجة، إذ تكلم سحر وإذا سكت أهاب ،ملبسه بسيط عمامته ليست بالكبيرة سوداء أو بيضاء وكمه لا يبلغ قبضته يفضل المرقعة. هين المؤنة غني النفس حسن المعاشرة دائم الاطراق كثير الحلم كاتم للسر وكان حافظا للعهد، يطعم الجائع ويكسو العاري ويعود المريض برءاً كان أو فاجرآ يشيع الجنائز ويجالس الفقراء ويصبر على الأذى ،يبذل المعروف وينصح الكل يبدأ من لقيه بالسلام، لا يلتفت يمينا ولا شمالا في سيره بل ينظر موضع قدمه، وكان يلازم الشيوخ كبار السن ودائما يلقب نفسه بالمسكين أحيمد الناس تواضعا وذلا وانكساراً[٩٣].

**بشارة في مولده:**

رأى الشيخ منصور البطائحي (خال السيد احمد الرفاعي )"رضي الله عنهما "رسول الله ﴿ﷺ﴾ وهو يقول له: يا منصور أبشرك أن الله تعالى يعطي أختك بعد أربعين يوما ولدا اسمه أحمد مثل ما أنا راس الأنبياء كذلك هو رأس الأولياء وحين يكبر فخذه واذهب به إلى الشيخ علي القاري الواسطي وأعطه له كي يربيه لأن ذلك الرجل عزيز عند الله ولا تغفل عنه[٩٤].

**سند خرقته الشريفة:**

يذكر الشيخ أحمد بن جلال الدين الاري المصري في (جلاء الصدى) [٩٥] خرقة السيد أحمد الرفاعي فيقول له نسبتان في الطريقة والصحبة رويمية وشبلوية ،فأما الرويمية فعن الشيخ منصور الرباني عن الشيخ أبي منصور الطيب عن الشيخ أبي سعيد النجار عن الشيخ أبي علي القرمزي عن الشيخ ابي القاسم السندسي عن أبي محمد رويم البغدادي عن الشيخ ابي القاسم جنيد البغدادي.وأما النسبة الشبلوية عن الشيخ علي

القاري الواسطي عن أبي الفضل بن كامخ عن الشيخ غلام ابن تركان عن الشيخ أبي علي الروزبادي عن الشيخ علي العجمي عن أبي بكر الشبلي عن داود الطائي عن حبيب العجمي عن الحسن البصري عن علي بن أبي طالب﴿ ﷺ ﴾.والشيخ معروف الكرخي له نسبة ثانية في الخرقة الشريفة عن علي الرضا عن أبيه موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن ابيه محمد الباقر عن ابيه زين العابدين عن ابيه محمد الباقر عن ابيه زين ألعابدين عن أبيه الأمام علي بن أبي طالب﴿ ﷺ﴾ (٩٦).

**كراماته:**

كرامات السيد أحمد الرفاعي كثيرة لا تعد ، ولكن أعظمها وأجلها حادثة مد اليد ،وهي إنه لما حج سنة سنه(٥٥٥هـ).وقف اتجاه الحجرة الشريفة النبوية وقال على رؤوس الاشهاد :السلام عليك يا جدي .فقال له﴿ﷺ﴾ :وعليك السلام يا ولدي. سمع ذلك كل من في المسجد النبوي ،فتواجد سيدنا أحمد وأرعد واصفر لونه وجثى على ركبته، ثم قام وبكى وأن طويلا وقال: ياجداه

في حالة البعد روحي كنت ارسلها تقبل الارض عني وهي نائبتي
وهذه دولة الاشباح قد جضرت فآمدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فمد له رسول الله ﴿ ﷺ ﴾ .يده الشريفة العطرة من قبره الأزهر المكرم فقبلها في ملأ يقرب من تسعين ألف رجل والناس ينظرون اليد الشريفة ،وكان في المسجد مع الحجاج الشيخ عبد القادر الكيلاني والشيخ حياة بن قيس الحراني والشيخ عدي بن مسافر الشامي(الاموي)وغيرهم(٩٧)

**مؤلفاته:**

للسيد أحمد الرفاعي مؤلفات كثيرة وتصانيف عديدة، فقد أكثرها اثناء الغزو المغولي وهجومهم على بغداد، وتدمير مكتباتها، ومنها ما وصل الينا وهي:

١-**البرهان المؤيد:** وهي مجموعة محاضرات لطلابه ومريديه، جمع وطبع عدة مرات، وهو أحمد مصادر هذا البحث .

٢-**الحكم الرفاعية:** كتاب صغير في حجمه كبير في محتواه، اجابة على سؤال لأحد تلاميذه، طبع عدة مرات.

٣-**الاحزاب الرفاعية:** مفقود ولعله ما جمعه الشيخ إبراهيم الراوي الرفاعي وأسماه السير والمساعي في أحزاب واورد السيد أحمد الرفاعي ،وجمع فيه اوراده الشريفة وادعيته المأثورة ووظائفه، وهو أحد مصادر هذا البحث.

٤-**النظام الخاص لأهل الاختصاص:** طبع عدة مرات[٩٨].

٥-**الصراط المستقيم في تفسير بسم الله الرحمن الرحيم:** مفقود

٦-**الرواية**

٧-**الطريق الى الله:** مفقود.

٨-**العقائد الرفاعية:** مازال مخطوطاً.

٩-**المجالس الأحمدية:** مفقود.

١٠-**تفسير سورة القدر:** مفقود.

١١-**حالة أهل الحقيقة مع الله:** وهو كتاب في الحديث، حيث روى ﴿ ﷺ﴾ بسنده أربعين

حديثا وشرحها، طبع عدة مرات، وهو أحد مصادر هذا البحث.

١٢-**شرح التنبية** :شرح كتاب في الفقه الشافعي لابي أسحق الشيرازي في ست مجلدات.

١٣-**رحيق الكوثر:** مطبوع.

١٤-**البهجة في الفقه:** مفقود.

**٢- أحداث عصره:**

ولد السيد أحمد الرفاعي في العام الذي توفي فيه الخليفة العباسي المستظهر بالله، وولي بعده ابنه المسترشد بالله ،فقد عاصر خلال حياته المباركة ستة من خلفاء بني العباس، وهم: المسترشد بالله، الراشد بالله ،المقتفي لأمر الله والمستنجد بالله، المستضيء بالله، الناصر لدين الله. وهؤلاء لم يكن لهم من الخلافة إلا الاسم ،فقد كان الأمر والنهي للسلطان مسعود سلطان دولة السلاجقة. التي انتهت بوفاة السلطان مسعود، الذي ماتت بموته سعادة البيت السلجوقي[٩٩].وقامت على أنقاضها الدولة الأتابكية وبيوتها شتى لا تنتمي إلى نسب واحد ،إلا أنها يجمعها الاتصال بالبيت السلجوقي .واتابك كلمة تركية معناها مربى الملك ،فكان آل سلجوق إذا امتاز أحد قوادهم بهذا الامتياز اطلقوا عليه هذا اللقب، واستحق به أعلى درجات التكريم والاحترام. ودويلات الاتابكية هي[١٠٠]:

١-شاهات حوارزم: ينسبون الى أحمد بن أنوشتكين، وكان ابوه انوشتكين مملوكا لأمير من أمراء السلاجقة اسمه بلكابك.

٢-الدولة الارتقية: تنسب هذه الدولة إلى أرتق بن اكسب التركماني.

٣-اتابيكية دمشق :أول ملوكها سيف الإسلام ظهير الدين ظغتكين واصله مملوك للملك تشن بن الب ارسلان.

٤- اتابيكية الموصل: ابتدأت هذه الدولة عام( ٥٢١هـ) وتنسب إلى عماد الدين زنكي.

٥- اتابيكية سوريا قامت بعد مقتل عماد الدين زنكي سنة (٥٤١ هـ ) على يد ولده محمود نور الدين.

٦-اتابكية سنجار: ابتدأت هذه الدولة سنة (٥٦٦هـ).

٧-اتابكية الجزيرة: ابتدأت هذه الدولة سنة (٥٧٦هـ).

٨-اتابكية اذربيجان: ابتدأت هذه الدولة سنة (٥٣٩هـ).

٩-اتابكية اربل: ابتدأت هذه الدولة سنة( ٥٣٦هـ).

١٠-اتابكية نارس (الدولة السلغرية):ابتدأت سنة( ٥٤٣).

١١-اتابكية لورستان(الهزاز سبيه):ابتدأت سنة (٥٤٣ هـ).
١٢-شاهات ارمينية :ابتدأت هذه دولتهم سنة( ٥٨٣ هـ).

ومما نلاحظ ان امصار الدولة العباسية موزعة بين حكام الدويلات ،أما الخلافة فقد رضيت بالاسم فقط ويحكم بغداد التي كان يخطب فيها السلطان مسعود سلطان السلاجقة[١٠١].أما في مصر فقد قامت الدولة الفاطمية واستقلت في مصر عن الدولة العباسية، أما في عهد الناصر لدين الله وهو آخر الخلفاء الذين عاصرهم السيد أحمد الرفاعي فقد كانت في الأندلس وشمال أفريقيا دولة الموحدين وفي مراكش تأسست الدولة المرينية سنة (٥٩١هـ).وبمصر واليمن وسوريا الدولة الأيوبية، وبالموصل وسنجار وغيرهما من بلاد الاتراك سلاجقة الروم وفي عهد الناصر انتهى ملك السلاجقة بالعراق سنة ٥٩٠[١٠٢] هـ. ومن الطبيعي أن تؤثر هذه الأحداث سلبا على الحياة العلمية والثقافية ،كما أثر استتباب الأمن والرفاهية في القرن الرابع الهجري، فأثرت الثقافة العربية والفكر العربي الإسلامي وتشعبت فنونها وكثر علماؤها. وكانت الداهية الدهياء احتلال بغداد على يد التتار أذ دمرت وحرقت مكتباتها، بحيث اندثرت أكثر الكتب والمكتبات، ومن ضمن هذه الكتب التي دمرت وفقدت كتب السيد أحمد الرفاعي. ومن العلماء الذين عاصروه: الشيخ عبد القادر الكيلاني، الشيخ عدي بن مسافر الاموي ،الشهرستاني صاحب (الملل والنحل)، ابو نجيب السهروردي، الديلمي صاحب مسند الفردوس[١٠٣].ولقد كان للحركات الباطنية دور كبير في عصره، وساهمت في احداث ذلك العصر، فقد قتلوا الخليفة المسترشد بالله في خيمته بعد أن أسره السلطان مسعود. إلا أن ايام المقتفي لأمر الله عادت الهيبة شيئا فشيئا إلى مدينة بغداد وإلى الخلافة العباسية، وقيل ذلك من دولة المقتدر إلى وقته كان الحكم للمتغلبين من الملوك، وليس معهم إلا اسم الخليفة[١٠٤].وفي خلافة المستضئ بأمر الله انقضت الدولة العبيدية، وخطب له في مصر، وبذلك عادت هيبة الخلافة أكثر من ذي قبل[١٠٥].

## المبحث الثالث

## منهج المدرسة الرفاعية

**١-الوسائل الأربعة:**

تنتمي المدرسة الرفاعية إلى مدرسة الصحو والالتزام بالشريعة(قرآنا وسنة) وأي قراءة متأملة لكتاب (البرهان المؤيد) محاضرات السيد أحمد الرفاعي﴿رحمه الله ﴾ لطلابه ومريديه يلاحظ أنه يعلقهم بالكتاب والسنة، وبالعلماء والفقهاء ،ويبعدهم عن الشطح وأقواله، مع عدم الحط من قيمة الشيوخ الذين شطحوا وهاموا. وارجع أن ذلك مرده لكي لا يختلط بالتأويلات الباطنية التي انتشرت في أيامه، وأن قسما من القرامطة والباطنية استغلوا التصوف لتحرير افكارهم لأنه كان أكثر قبولا عند الناس. تقوم المدرسة الرفاعية على اربعة وسائل كما قرره السيد أحمد الرفاعي﴿رحمه الله ﴾ (١٠٦) .

**أ- الوسيلة الأولى:**

صحة الاعتقاد ، وهو على الاختصار الأيمان بكل اسماء الله الحسنى دون الاقتراب من مناهج الفلاسفة والمتكلمين ،والابتعاد عن التجسيم والتشبيه. وهو أن يعتقد المرء أن الله واحد لا شريك له، فرد لا مثيل له، صمد لا ضد له، أبدى لا نهاية له ،قيوم لا انقطاع له ،دائم لا انصرام له...وأن التوراة والإنجيل والقرآن والزبور كتبه المنزلة على رسله، وأن مقروء بالألسنة مكتوب في المصاحف محفوظ في القلوب...وأن يعتقد فضل الصحابة الكرام"﴿ﷺ ﴾ "وترتيبهم ،وأن يحسن الظن بهم جميعا ويثني عليهم كما أثنى الله ورسوله عليهم.

**ب- الوسيلةالثانية:**

العمل بأوامر الله والكف عن نواهيه امتثالا لقوله تعالى﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (١٠٧)وان ذلك لهو الوقوف عند حدود الله والخوف من الله رأس الحكمة. ولذلك اشار أشرف المخلوقين﴿ ﷺ﴾ -بقوله(من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة) (١٠٨) قلت وأن الشرط الأعظم في العمل

الإخلاص وحسن النية: وذلك التجريد في العمل من طلب غير الله وتطهير ساحة القلب من سوى الله وصرف وجهة القلب بالكلية إلى الله وقد أكرم لزوم ذلك قول مولى الخافقين وجد الحسنين﴿ﷺ﴾ (من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع) [١٠٩]وقال﴿ﷺ﴾ (أنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) [١١٠]فإذا صحت النية كمل الإخلاص وإذا كمل الإخلاص نجح العمل وحصل الأمل.

**ت-الوسيلة الرابعة:**

كثرة الاشتغال بذكر الله عز وجل لأن ذكر الله جلاء للقلب ونور للسر وهيبة للوجه، والروح الطيبة السارية بطمأنينتها في قلوب الذاكرين والبشرى القديمة الثابتة في ألواح أسرار المحبين قال تعالى﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [١١١]وقال تعالى ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [١١٢]وفي الحديث القدسي (ما ذكرني عبدي في ملأ إلا ذكرته في ملأ خير منه) [١١٣] وقد ارشد الله نبيه عليه الصلاة والسلام -إلى ذكر وترك الأغيار بقوله جل جلاله﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [١١٤]. وقوله تعالى﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [١١٥].

**<u>الوسيلة الرابعة</u>:**

كثرة الصلاة على النبي الأعظم والرسول الأكرم﴿ﷺ﴾ ،لأنه عليه الصلاة والسلام باب الله ووسيلة الخلق إلى الله، ودليل الكل على الله، وشفيع الخلق بيدي الله، وأعظم قريب الى الله، ومقرب الى الله، وقد نبه القران الكريم وحث عليه الصلاة والسلام ﴿ﷺ﴾ عليه بقول الله سبحانه﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [١١٦].

**٢-مرتكزات المدرسة الرفاعية:**

إذا كانت الوسائل الأربع قد خصها علماء المدرسة الرفاعية باعتبارها العمود الفقري ،والقواعد التي لا مناص منها ،فإنَّ هناك مرتكزات أُخر تقوم عليها المدرسة متفرعة عن الوسائل الأربع أو مكملة لها في شأن من شؤون الحياة أو العباد. وكما اسلفنا في ثنايا هذا البحث من شرح للتصوف الحقيقي الخاص فأن المدرسة الرفاعية لا تعدو عنه بشيء ،ولولا هذا المصطلح الذي استحدث وهو التصوف ،لكانت المدرسة الرفاعية لا تعدوا عنه بشيء، ولولا هذا المصطلح الذي استحدث وهو التصوف ، لكانت المدرسة الرفاعية لا تعدو أن تكون طريقه السلف الصالح من الصحابة في الأخلاق والعبادة. فقد كان السيد أحمد الرفاعي يقول(أول اساس يضعه المريد الصادق في الطريق الزهد في الدنيا ،فمن لم يزهد في الدنيا لا يصح له بناء شيء بعده) [١١٧] والزهد لا يعني ضيق ذات اليد ولا يعني لبس الملابس الرثة ،ولكنه يعني أن تستوي لديك الدنيا بخيرها وشرها، بغناها وفقرها ،بربيعها وجدبها .وأن يكون القلب معلق بخالقه طائر في ملكوته، سابح في لذة القرب منه بعبادته. أما الدنيا فإن لا تزور إلا يديه وتخرج من كفيه ،لان الذي خلق الدنيا زهد بها وزهّد احبابه بها. قال الرسول الحبيب﴿ﷺ﴾ (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضته ما رزق منها كافرا شربة ماء) [١١٨].فبعد أن يزهد لا بد له من صفات يكتسبها ليكون زهده مثمرا ،وعبادته لله تعالى راسخة لا تهتز بنزوات النفس و وسوسات الشيطان. ومن هذه المرتكزات التي وجدت في ادبيات المدرسة الرفاعية:

**أ- تنزيه الله تعالى عن صفات المحدثين والاخلاص في عبادته:**

الله تعالى وصف نفسه في القرآن الكريم ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [١١٩] هذا الوصف وصف دقيق شامل لما اراده جل وعلا لنفسه، ولما اراده لعباده ان يؤمنوا به .لذلك فهم هذا أنس بن مالك ﴿رضي الله عنه﴾عندما سأله رجل عن قوله تعالى ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [١٢٠] فقال :الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول ،والايمان به واجب ،والسؤال عن بدعة، وما راك الا مبتدعا وامر أن يخرج[١٢١] وكذلك الإخلاص في عبادة الله تعالى، وعدم الاشراك لاحد في عبادته، يقول السيد أحمد الرفاعي :(لو أن العالم فريقان: فريق يبخرني بالند والعنبر، وفريق يقرض لحمى

بمقاريض من نار، ما نقص هؤلاء عندي ولا زاد هؤلاء عندي) [١٢٢].فالإخلاص لله تعالى يجب أن يكون دأب المسلم دائما وأبدأ لقوله﴿ﷺ﴾ (إنما الأعمال بالنيات ،وإنما لكل أمرئ ما نوى ،فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ،ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه) [١٢٣]

**ب- تعظيم شأن النبي﴿ﷺ﴾ومحبته له :**

النبي محمد﴿ﷺ﴾ خاتم الأنبياء والمرسلين، فهو الصورة المختصرة لكل الأنبياء والرسل" عليهم السلام "فقد اعطاه الله تعالى جميع معجزاتهم، وامتحنه بجميع ما ابتلي به انبياءه .لذلك يجب على المسلم اعظام قدر النبي ﴿ﷺ﴾ ومحبته أكثر حتى من نفسه التي بين جنبيه ،قال ﴿ﷺ﴾:(لا يؤمن أحدكم حتى اكون أحب إليه من ماله وولده ومن نفسه التي بين جنبيه) [١٢٤] والحب لرسول ا﴿ﷺ﴾لله يجب أن يتبعه العمل بهذا الحب وهو التأسي برسول الله عملا بقوله تعالى (ما آتاكم الرسول فخذه) [١٢٥]. وقوله تعالى﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِير﴾ [١٢٦] فالتخلق بأخلاق رسول الله﴿ﷺ﴾له من مرتكزات المدرسة الرفاعية بقول السيد أحمد الرفاعي :(عظموا شأن نبيكم هو البرزخ الوسط الفارق بين الخلق والحق عبد الله حبيب الله رسول الله أكمل خلق الله أفضل رسول الله الدال على الله...من اتصل به اتصل ،ومن انفصل عنه انفصل) [١٢٧] ومحبة رسول الله﴿ ﷺ ﴾ تستدعي كثرة ذكره بالصلاة والسلام عليه ،فمن احب شيئا أكثر ذكره. وفضل الصلاة على رسول الله﴿ﷺ﴾ كبير ،أولها: متابعة الله وملائكته وتنفيذ أمر الله تعالى لقوله سبحانه ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [١٢٨]. والثانية :رد الروح إلى رسول الله ﴿ﷺ﴾ وإبلاغ الملائكة له أنّ فلانا من أمتك يصلي عليك ويسلم عليك فيرد السلام ﴿ﷺ﴾ ..فتصور أخي المسلم أن رسول الله﴿ﷺ﴾ يسمع باسمك والملائكة تبلغه اسمك، وتصور ان يرد عليك السلام ويقول لك:(وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا ولدي....)قال عليه

الصلاة والسلام:(لا تجعلوا قبري عيدا وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم) (١٢٩).

الثالثة: إنّ الله يصلي عليك والملائكة تصلي عليك ما دمت تصلي على رسول الله ﴿ﷺ﴾ ،والصلاة من الله رحمة ومن الملائكة والنبي استغفار ومن العباد عبادة. لقوله ﴿ﷺ﴾(من صلى علي صلاة صلى الله بها عليه عشرا، ومن صلى علي عشرا صلى الله بها عليه مائة ،ومن صلى علي مائة كتب الله له بين عينيه براءة من النفاق وبراءة من النار وأسكنه الله يوم القيامة مع الشهداء ) (١٣٠).

الرابعة: سيعرفك رسول الله﴿ﷺ﴾ في ساحة الحشر ، يقول ﴿ﷺ﴾ (أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة) (١٣١).ومن محبته محبة آل بيته وتعظيم شأنهم وتوقيرهم لقول الله تعالى﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ (١٣٢). ولقوله﴿ﷺ﴾ (تركت فيكم ما ان أخذتم به لن تضلوا من بعدي كتاب الله وعترتي أهل بيتي) (١٣٣).

**جـ** . توقير الصحابة جميعهم والسكوت عما شجر بينهم من خلاف، لأن ذلك يؤذي المسلم من جهتين الأولى: سيفتي بلا علم بخطأ طرف من الأطراف ،ويهوي في مهاوي الفتيا بغير علم ،والمؤمنون وأن اختلفوا لا تنتفي عنهم صفة الأيمان لقوله تعالى﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ (١٣٤).وكذلك وصفهم الله تعالى بأنهم ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ (١٣٥)فمالك أخي المسلم تدس انفك فيما لا منفعة لك به. والثانية: أن قلبك سيحمل كراهية لأحد الطرفين ،فيسود قلبك بظلمة الكراهة وهم الذين وصفهم الله تعالى ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ (١٣٦)فعلى المسلم الوقوف عند قوله تعالى﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٣٧)

**د**– توقير العلماء والتفقه على علومهم وموافقة أحد الأئمة في الفقه. لأن عدم موافقة أحدهم والاغتراب بالرأي والاغتراب بالنفس والزعم أنهم رجال ونحن رجال، واننا نأخذ

من كتاب الله وسنة نبيه قول صحيح لكنه يهوي بصاحبه الى الهوى. فمن لم يملك من أدوات الأخذ منهما سيزلق بلا معرفة وهو يظن نفسه على هدى، وبدل أن تكون مذاهب اربعة ستكون أربعة ملايين مذهب والله المستعان. وعلى من سلك طريق التصوف أن لا يتفوه بأقوال الشيوخ الذوقية فإنه لا يعلمها ولم يذقها ليصفها لنا، يقول السيد أحمد الرفاعي (تقولون قال الحارث قال ابو زيد قال الحلاج ،ما هذا الحال قبل هذه الكلمات، قولوا قال الشافعي قال مالك قال أحمد قال نعمان صححوا المعاملات البينية وبعدها تفكهوا بالمقولات الزائدة) [١٣٨].ومن توقير العلماء توقير العلم وطلبه، فمن فرض عين يصلح بها المسلم عبادته وأحواله ومعاملاته اليومية، ومنها ما فرض عين يصلح بها المسلم عبادته وأحواله ومعاملاته اليومية، ومنها ما هو فرض كفاية لو طلبها واحد في المدينة سقط عن الكل. ومن فرض العين تلاوة القرآن وكيفية الطهارة وكيفيه الصلاة وحق الجار وحق الزوجة وحق الزوج وحق الأبن وحق الآباء والأمهات ،فعلى المسلم أن يطلبها لأنه يحتاجها في كل ساعة من ساعات عمره. فالله تعالى أنزل أول كلمة من القرآن(أقرأ...) [١٣٩]دلالة على أهمية طلب العلم ،وقال تعالى ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِين لَا يَعْلَمُونَ﴾ [١٤٠].ومن العلم أن لا يأنف أن يقول :لا أدري فقد قالها جهابذة العلم في زمانهم [١٤١].فالتصوف الحقيقي هو التخلق بأخلاق النبي ﴿ﷺ﴾ في الأعمال والأقوال والتصرفات.

**هـ**- الإيمان بالقدر خيره وشره من الله تعالى . لكن هذا لا يعني أن العبد يمهل التدبير وينتظر الاقدار، لكن الاخذ بالأسباب توكلا على الوهاب والرضا بما قسمه الله لك وقدره عليك. وأن ظهر له ذلك السر في سجن القدر معارضا لما يتطلبه فيكون القدر فأن معارضة من جواذب الاقدار:

وإذا الأمور تقاربت لأوانها حلت عرى الاقدار بالأقدار [١٤٢]

**و**- تأديب السالكين بالخلوات والعزلة عن الناس إلا بقدر الحاجة من أجل تنقية النفس من الكدورات والآثام. فالخلوات تقرن بقلة الطعام وخلوها من كل ذي روح لأضعاف

الشهوات وصفاء القلب للذكر [١٤٣] وللعزلة [١٤٤]فوائد جمة، فقد قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ (من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه) [١٤٥]ومن أكثر مخالطة الناس وقع في ما لا يعنيه، أو أقل شيء إذا لم يغتصب هو الناس فإن الناس ستغتابه، فمن اعتزل ارتاح ونجى من غيبته الناس وفضول القول واراح الناس من غيبته.

ز- كثرة ذكر الله وعلى كل حال﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [١٤٦].والذكر اللساني وسيلة للوصول إلى القلب الذاكر الذي لا يفتر لا ليلا ولا نهارا ولا يقظة ولا مناما. فقد أمرنا الله تعالى بذكره في مواضع عديدة من القرآن الكريم، فقوله﴿ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾ [١٤٧].وقوله ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [١٤٨].وقوله تعالى﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ ﴾[١٤٩]وفي الحديث القدسي(أنا جليس من ذكرني) [١٥٠]وفي وصية رسول الله ﴿ﷺ﴾ لمعاذ بن جبل﴿ رضي الله عنه ﴾(لا يزال لسانك رطبا بذكر الله عز وجل) [١٥١].ومن ذكر الله تعالى كثرة قراءة القرآن والتدبر لمعانيه امتثالا لقوله تعالى ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [١٥٢]وطاعة رسول الله .﴿ﷺ﴾فقراءة القرآن عبادة، فبكل حرف حسنة وطهور للقلب من أدران الذنوب ونكت المعاصي ورين الدنيا الذي ران على القلوب فحرمها نور الطاعة ولذة الذكر ومتعة القرب .يروى أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ عندما كان يأمر بلال بالأذان يقول له(أرحنا بها يا بلال) [١٥٣].

**حـ** – تطبيق ما ينقل عن القوم على قانون الشريعة المطهرة، حتى أذ تأنى التطبيق وتعرض التأويل أنكروا نسبة ما ينقل إليهم ،وجزموا بأنه من المدسوس عليهم. وبرأوا ساحة أهل الله من المؤاخذات الشرعية العقلية وأولياء الله لا شك ولا شبيه ،هم مبرؤون من كل ما يخالف الشرع الشريف [١٥٤].ومن يراجع كتب التصوف يجد من الدس الكثير، حتى ان قسما من أهل الأهواء استغلوا هذا الدس والفوا الكتب للحط من التصوف وأهله ورجاله ولو ظنوا بالمسلمين خيرا لكان خيرا لهم وأقوم [١٥٥].

**ط**- أجلال قدر السيد أحمد الرفاعي وإخوانه أولياء الله جميعا، وعدم الحط من قدرهم ولا الاعتداء عليهم حتى المجذوب منهم.

**الخاتمة:**

تبين لنا مما تقدم في أثناء هذا البحث ان التصوف الإسلامي أصيل المنبت لم يتأثر بالإشراقات الهندية، ولا بالغنوصية اليونانية، وأن هذه مجرد دعاوى باطلة أثارها فيه المستشرقون وأصحاب النيات المبيتة. وأن التصوف هو الابن الشرعي للزهد الذي سار عليه رسول الله وأصحابه وانه هو الاحسان بعينه المرتبة العليا في عبادة الله تعالى وهي مراقبة الله تعالى في كل عبادة وكل عمل ،وأن شواهد الصوفية الذين كتبوا عنه منذ القرن الثالث كلها مأخوذة من الكتاب والسنة المطهرة .والمدارس الصوفية بعامتها تختلف في طرق ترتيبها لاتباعها وتلامذتها ،لكنها في النهاية لها غاية واحدة هي: صفاء القلب وخلوصه من أدران الدنيا وويلات الآثام والخطايا .وأن جوهر التصوف هو جوهر الإسلام، فالإسلام ليس عائقا ولا بدعة، لأن تسمية الفقهاء جاءت متأخرة والأصوليون وأهل الحديث كذلك . والإسلام اباح مجاراة العصور المختلفة فيها يحتاج إليه الأنسان المسلم آمن علوم ومعارف توثق صلته بالله تعالى وتديمها. ما دام ذلك لا يخالف شرع الله. والمدرسة الرفاعية هي أكثر المدارس التصاقا بالقرآن والسنة، وابتعدت وحذرت من دعوى الشطح والحديث بما لا يفهمه الناس ،وأكدت لتلامذتها تعلم الفقه الإسلامي لإصلاح عباداتهم ومعاملاتهم مع الله ومع الناس ،والحمد لله رب العالمين .

**ABSTRACT**

Researchers consider digging deep in some instances of mysticism as one of the most perplexing issues for this field made many persons to commit sis and to go astray of the righteous path. Here various examples can be sought as mystics speak in their own, special language that is so hard to be understood by common people. Some of them are accused of heretics and blasphemy despite the fact that they are far away of such path of belief. All this is due to the notion that their speech is philosophical and so difficult to be understood save by those who know their way of living and their bahaviours.

The present study compromises an abstract, an introduction along with three sections. The first of them tackles a definition of mysticism, its origin, its levels, its schools and their method of teaching. Section two focuses on Sheikh Ahmed Elrifaie, his life, deeds and events of his age. Section the third concentrates on Elrifaiya School method of teaching, its tools and basics. The paper ends with a conclusion that sums up the findings of the study.

**الهوامش:**

١- القشيري، الرسالة القشيرية،ص٢١٦-٢١٧.

٢-كشف المجموعة،ص٢٢٧.

٣-التعرف لمذهب أهل التصوف،ص٢٨-٢٩.

٤-الكلاباذي،التعرف لمذهب أهل التصوف،ص٦.

٥-أبو نعم الاصفهاني ، خليفه الاوليات،٢/١٣٤.

٦-عيسى،حقائق عن التصوف،ص٤٥.

٧-الهجويري،كشف المحجوب،ص٢٨.

٨-مغنيية،نظرات في التصوف والكرامات،ص٢٣.

٩-الحامدي،الأنسان والأسلام،ص١٠.

١٠-القشيري،الرسالة القشيرية،ص٢١٨.

١١-القيشيري،الرسالة القشيرية،ص٢١٨-٢١٩.

١٢-السهروردي،عوارف المعارف،ص٦٥.

١٣-الكلاباذي،مقدمة كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف ص١١.

١٤-الكلاباذي،التعرف لمذهب أهل التصوف،ص٣٠.

١٥-الشعراني، الأنوار القدسية،ص١٣٨.

١٦-عبد الحميد، دراسات في الفرق والعقائدألأسلامية،ص٢٣ .

١٧-الشرباصي،التصوف عند المستشرقين،ص٢٣.

١٨-كرم،الموسوعة الفلسفية،ص١٢٨.

١٩-الفكر الإسلامي، تقويمه وتجديده،ص١-٥٥.

٢٠-الحضارة الإسلامية في ق٤هـ،ص١٩.

٢١-دعاة وأدعياء،ص٩.

٢٢-الفكر الأسلامي،ص٤٧.

٢٣-سورة العنكبوت،آية٦٩.

٢٤-مسلم،صحيح مسلم، كتاب الأيمان ، ص٩٣.

٢٥-الكلاباذي،التعرف،ص٦.
٢٦-النقشبندي،ماهو التعرف،ص٤٠.
٢٧-الشرباصي،موسوعة أخلاق القرآن،ج٢ص٥٣.
٢٨-سورة البقرة،أية:١٢٨.
٢٩-سورة هود،أية:٥٢.
٣٠-سورة هود،أية:٩٠.
٣١-سورة التوبة، أية :١١٢.
٣٢-الكلاباذي،التعرف،ص١١١.
٣٣-سورة النحل،أية:٦٦.
٣٤-الشرباصي،موسوعة أخلاق القرآن،ج٢ص١٧٣.
٣٥-الكلاباذي،التعرف،ص١١٨.
٣٦-الكلاباذي ،التعرف،ص١١٨_١١٩.
٣٧-القشيري،الرسالة،ص١٦٣.
٣٨-سورة الزمر ،أية:١١.
٣٩-سورة الزمر ،أية:١٤.
٤٠-سورة الزمر ،اية:٢-٣.
٤١-البيهقي،الترغيب والترهيب،ج٢ص٣١.
٤٢-الرسالة،ص٩٣.
٤٣-الطوسي،اللمع،ص٧٢.
٤٤-الكلاباذي ،التعرف،ص١١٢.
٤٥-الكلاباذي،التعرف ،ص١١٢-١١٣.
٤٦-الكلاباذي، التعرف،ص١١٢.
٤٧-منازل السائرين،ص٣٠-٣١.
٤٨-القشيري،الرسالة،ص٩١.
٤٩-عيسى،حقائق عن التصوف،ص٢٣١.

٥٠-البخاري،الصحيح،كتاب الأيمان ،ص٢٠٠.
٥١-الترمذي،السنن،كتاب صفة القيامة،ص٣٢٤٠.
٥٢-الترمذي،سنن الترمذي، كتاب صفة القيامة،ص٤٢٦٠.
٥٣-السهروردي،عوارف المعارف،ص٢٣٣.
٥٤-الشرباصي،موسوعة أخلاق القرآن،ج١ص١١٢.
٥٥-سورة النحل،اية:١١٤.
٥٦-سورة الأعراف،اية:١١٤.
٥٧-سورة الزمر ،اية:٦٦.
٥٨-مراجع الطوسي،اللمع،ص٧٢.
٥٩-الكلاباذي،التعرف،ص١٤٩.
٦٠-الكلاباذي،التعرف،ص١١٩.
٦١-القشيري.الرسالة،ص١٣٧.
٦٢-الشرباصي،موسوعة أخلاق القرآن،ج١ص١٩١.
٦٣-الكلاباذي،التعرف،ص١١٣.
٦٤-السهروردي،عوارف المعارف،ص٢٣٤.
٦٥-السلمي،المقدمة في التصوف،ص١٣٧.
٦٦-الطوسي،اللمع،ص٧٦.
٦٧-عيسى،حقائق عن التصوف،ص٢٥٦.
٦٨-سورة المائدة، أية ٢٣.
٦٩-السلمي،المقدمة في التصوف،ص٢٨.
٧٠-عيسى،حقائق التصوف،ص٢٥٧.
٧١-السهروردي،منازل السائرين،ص٤٤.
٧٢-الكلاباذي،التعرف،ص١٤٧.
٧٣-السهروردي،منازل السائرين،ص١٢٨.
٧٤-ابن عربي، نصوص الحكم، المقدمة ، ص٣٥.

٧٥-السهروردي،هياكل النور،ص٤٥.

٧٦-مدني،اخبار الحلاج،ج١ص٧٢.

٧٧-كرم،الموسوعة الفلسفية،ص٥٨٠.

٧٨-سورة الذاريات،آية٢٠-٢١.

٧٩-مدني،اخبار الحلاج،ص٥٨.

٨٠-النقشبندية،ماهو التصوف،ص٣٢-٣٣.

٨١-سورة التكاثر، آية:٦.

٨٢-سورة التكاثر، آية:٧.

٨٣-سورة الواقعة، آية:٩٥.

٨٤-زيغور،الفلسفات الهندية،ص٢٦٩.

٨٥-السامرائي،الجنيد البغدادي،ص١٠.

٨٦-الغزالي،أيها الولد المحب،ص٤٨.

٨٧-الرفاعي،البرهان المؤيد،ص٧٨-٧٩.

٨٨-السكندري،تاج العروس،ص٨٧.

٨٩-السلمي،عيون النفس،ص٤١.

٩٠-الرفاعي،البرهان المؤيد،ص٤.كنج،الغوت المنير،ص١٨.السامرائي،السيد احمد الرفاعي ،ص٦،

٩١-الرفاعي ،حالة أهل الحقيقة مع الله،ص٧.

٩٢-الرفاعي،حالة أهل الحقيقة مع الله،ص٨.

٩٣-السامرائي،السيد احمد الرفاعي،ص١١.

٩٤-الرفاعي البرهان المؤيد،ص٥.

٩٥-مازال مخطوطاً ولم يطبع.

٩٦-الراوي،السير والمساعي،ص١٩٦-١٩٨.

٩٧-الرفاعي،حالة اهل الحقيقة مع الله،ص١٠.

٩٨-السامرائي،السيد احمد الرفاعي،ص٤٤-٤٥.

٩٩-فوزي،الخلافة العباسية،ص٩٥.

١٠٠-الخضري،محاظرات في تاريخ الأمم،ص٥٢٤.

١٠١-الخضري ،محاضرات في تاريخ الأمم،ص٥٢٥.

١٠٢-فوزي، الخلافة العباسية،ص٨٨.

١٠٣-السيوطي،تاريخ الخلفاء،ص٤٤٢.

١٠٤-غيانة،حالة تاريخ الدولة الإسلامية وتشريعاتها،ص٣٥١.

١٠٥-فوزي،الخلافة العباسية،ص٨٣.

١٠٦-الخطيب،البشرى والهدى،ص٤٠-٤٤.الرواسي،بوارق الحقائق،ص٤٢٠-٤٢١.

١٠٧-سورة الحشر، آية:.٧

١٠٨-مسلم،صحيح مسلم،ج٤ص٢٠٧٤.

١٠٩-الترمذي،السنن،كتاب العلم،ج٥ص٢٩.

١١٠-البخاري،الصحيح ،ج١ص١.

١١١-سورة البقرة، آية:١٥٢.

١١٢-سورة الرعد، آية:٢٨.

١١٣-مسلم ،صحيح مسلم،ج٤ص٢٠٧٨.

١١٤-سورة الأنعام، آية:٩١.

١١٥-سورة الأحزاب، آية ٤١.

١١٦-سورة الأحزاب، آية:٥٦.

١١٧-الشعراني،الانوار القدسية،ص١٣٢.

١١٨-الترمذي،السنن،ج٤ص٥٦٠.

١١٩-سورة الشورى، آية:١١.

١٢٠-سورة طه، آية:٦.

١٢١-الشناوي،الأئمة الأربعة،ص٣٤. الرفاعي،البرهان المؤيد،ص١٥.

١٢٢-الرفاعي، البرهان المؤيد ،ص٣٩.

١٢٣-البخاري،الصحيح،ج١ص١.

١٢٤-البخاري،الصحيح،ج١ص١٤.

١٢٥-سورة الحشر، آية:٧.

١٢٦-سورة الأحزاب، آية:٢١.

١٢٧-الرفاعي،البرهان المؤيد،ص٦٧.

١٢٨-سورة الأحزاب، آية:٥٦.

١٢٩-النووي،رياض الصالحين،ص٣٨٦.

١٣٠-الطبراني المعجم الصغير،ج٢ص١٢٦.

١٣١-النووي،رياض الصالحين،ص٣٨٦.

١٣٢-سورة الشورى، آية:٢٣.

١٣٣-الترمذي،السنن،ج٥ص٦٦٢.

١٣٤-سورة الحجرات، آية:٩.

١٣٥-سورة التوبة، آية:١٠٠.

١٣٦-سورة المائدة، آية:٥٤.

١٣٧-سورة البقرة، آية:١٤١.

١٣٨-الرفاعي،البرهان المؤيد،ص٦٢.

١٣٩-سورة العلق، آية:١.

١٤٠-سورةالزمر، آية:٩.

١٤١-السعدي،البدعة في مفهومها الإسلامي الدقيق،ص١٤٨. الصياوي، الطريقة الرفاعية،ص٣٥.

١٤٢-الصيادي،الطريقة الرفاعية،ص٥١.

١٤٣-راجع،الراوي،السير والمساعي والخطيب، منشور البشرى والهدى بالتفصيل ،ص٧٣

١٤٤-صنف بهذا (العزلة) الحافظ ابو سليمان حمد بن محمد بن ابراهيم الخطابي البستي سماه العزلة طبعته دار الكتب العلمية بيروت ، ص١٠٢

١٤٥-الامام احمد،المسند،ج١ص٢٠١.

١٤٦-سورة ال عمران، آية:١٩١.

١٤٧-سورة البقرة، آية:٢٠٠.

١٤٨-سورة البقرة، آية:١٥٢.

١٤٩-سورة الأحزاب، آية:٣٨.

١٥٠-ابن ابي شيبة، المصنف في الأحاديث والأثار،ج١ص١٠٨.

١٥١-الأمام احمد،المسند،ج٤ص١٩٠.

١٥٢-سورة محمد،اية:٢٤.

١٥٣-الطبراني،المعجم الكبير،ج٦ص٢٧٧.

١٥٤-الصيادي،الطريقه الرفاعية،ص٩٣.

١٥٥-عبد الخالق، فضائح الصوفية،ص٥٨-٦٦-٦٩.

**قائمة المصادر والمراجع:**


- القران الكريم
- ابن أبي شعيبة، ابو بكر عبد الله بن محمد الكوفي، المصنف في الأحاديث والأثار، تحقيق كمال يوسف الحوت،ط١،مكتبة الرشد،(الرياض - ١٤٠٩هـ).
- ابن عربي، محي الدين، نصوص الحكم، تقديم ابو العلا عفيفي،ط٢١،دار الثقافة،(نينوى-١٩٨٩).
- ابو نعيم الأصفهاني، احمد بن عبد الله،(ت٤٣٠هـ)،حلية الأولياء وطبقات الاصفياء، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا،ط١،دار الكتب العلمية،(بيروت-٢٠٠٧).
- احمد بن حنبل ، ابو عبدالله الشيباني ، المسند ، مؤسسة قرطبة ، (القاهرة – لات)

٦- البخاري، محمد بن اسماعيل ابو عبدالله الجعفي ، (ت ٢٥٦هـ )، صحيح البخاري ، تحقيق مصطفى ديب البغا ، ط/ ٣ ، دار ابن كثير، ( اليمامة – ١٩٨٧)
٧- الترمذي، ابو عيسى محمد بن عيسى السلمي ، (ت ٢٧٩ هـ ) ، سنن الترمذي ، تحقيق احمد محمد شاكر واخرون ، دار احياء التراث العربي ، الاحاديث مذيلة بإحكام الالباني عليها ، (بيروت – لات )
٨- الخضري ، محمد بيك ، تاريخ الامم الاسلامية (الدولة العباسية ) ، المكتبة التوفيقية ، ( مصر – لات )٠
٩- الخطيب ، ناصر الدين عبد اللطيف ، منشور البشرى والهدى ، ط١ ، ( الاردن – ١٩٩١ ) ٠
١٠- الراوي ، الشيخ ابراهيم ، السير والمساعي في اوراد واحزاب الغوث الكبير الرفاعي . مكتبة الشرق الجديد . ( لامك – ١٩٨٨ ) .
١١- الرفاعي ، السيد احمد بن علي بن يحيى ، ( ت ٥٧٨هـ) ، البرهان المؤيد ، دار احياء التراث العربي ، ( بغداد – ١٩٨٤ ) .
١٢- الرفاعي ، حالة اهل الحقيقة في الله ، تقديم محمد نجيب خياطه ، مكتبة بسام ، ( الموصل – لات ).
١٣- الرواس ، الشيخ محمد بهاء الدين ، بوارق الحقائق ، تحقيق عبد الحكيم وسليم عبد الباسط ، ط/٣ ، ( لامك - لات ) .
١٤- السامرائي ، الشيخ يونس ، الجنيد البغدادي ، مكتبة الشرق الجديد ، ( بغداد – ١٩٧٧ ) .
١٥- السامرائي ، الشيخ يونس ، السيد احمد الرفاعي ، مكتبة الشرق الجديد ، ( لا مك – لات ) .
١٦- السعدي ، عبد الملك عبد الرحمن ، البدعة في مفهومها الاسلامي الدقيق ، دار الانبار ، ( رمادي – ١٩٩٢ ) .
١٧- السكندري ، تاج الدين بن عطاء الله ، تاج العروس ، تحقيق محمد علي محمد وخادم السروجي ، مكتبة ابن القيم ، ( دمشق – ١٩٩٩ ) .
١٨- السلمي، أبي عبد الرحمن، عيوب النفس، تحقيق مجدي فتحي السنيد ،دار التربية،(بغداد-لات).
١٩- السلمي، أبي عبد الرحمن، المقدمة في التصوف، تحقيق، حسين أمين،ط١،دار القادسية،(بغداد-١٩٨٤).
٢٠- السمان، محمد عبد الله، دعاة وأدعياء، سلسلة الثقافةالإسلامية،(القاهرة-١٩٦٠).
٢١- السهروردي، عبد القاهر عبد الله، عوارف المعارف، ملحق بأحياء علوم الدين،ط٣،دار القلم(،بيروت-لات).
٢٢- هياكل النور، تحقيق محمد أبو ريان، ط١، المكتبة التجارية،(مصر-١٩٧٥).

٢٣- السهروردي، الشيخ عبد الله الأنصاري، منازل السائرين، مكتبة الشرق الجديد،(بغداد-١٩٩٠).
٢٤- السيوطي ، جلال الدين ، (ت ٩١١هـ ) ، تاريخ الخلفاء ، مكتبة الشرق الجديدة ، ( بغداد – ١٩٨٨ ) .
٢٥- الشرباصي، احمد، التصوف عند المستشرقين، سلسلة الثقافة الإسلامية،(القاهرة-١٩٦٠).
٢٦- الشرباصي، احمد ،موسوعة اخلاق القرآن،ط١،دار الرائد العربي،(بيروت-١٩٧١).
٢٧- الشعراني، الشيخ عبد الوهاب، الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، دار أحياء التراث العربي،(بغداد-١٩٨٤).
٢٨- الشناوي، عبد العزيز، الائمة الأربعة، مكتبة الأيمان،(المنصورة-٢٠٠٤).
٢٩- الصيادي، الشيخ محمد ابو الهدى، الطريقة الرفاعية ،تقديم السيد محمود السامرائي،(لات-١٩٦٩).
٣٠- الطبراني، سليمان بن احمد بن أيوب ابو القاسم ،(ت٣٦٠هـ)،المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي،ط٢،مكتبة العلوم والحكم،(الموصل-١٩٨٣).
٣١- الطبراني المعجم الصغير ،تحقيق محمد شكور ،محمود الحاج أمرير،ط١،المكتب الإسلامي دار عمار،(بيروت-١٩٨٥).
٣٢- الطوسي، أبي نصر السراج ،اللمع، تحقيق عبد الحليم محمود وطه عبد الباقي سرور ،دار الكتب الحديثة،(لامك-١٩٦٩).
٣٣- عبد الحميد، عرفان، دراسات في الفرق والعقائد الإسلامية، دار التربية،(بغداد-لات).
٣٤- عبد الحميد، محسن، الفكر الإسلامي في تقويمه وتجديده، دار الأنبار،(رمادي-١٩٨٧).
٣٥- عبد الخالق، عبد الرحمن، فضائح الصوفية، جمعية أحياء التراث الإسلامي،(الكويت-١٩٨٦).
٣٦- عيسى، عبد القادر ،حقائق عن التصوف،ط٥،مطبعة النواعير،(الرمادي-١٩٩٢).
٣٧- الغزالي، أبو حامد، أيها الولد المحب، تحقيق عبد الله احمد أبو زينة،ط٣،(حلب-١٩٨٠).
٣٨- غيانة، يوجينا. تاريخ الدولة الإسلامية وتشريعتها،ط١،المكتبة التجارية للطباعة،(بيروت-١٩٦٦).
٣٩- فوري، فاروق عمر، الخلافة العباسي في عصورها المتأخرة، دار الخليج للطباعة،(الشارقة-١٩٨٣).
٤٠- القشيري، ابو القاسم، الرسالة القشيرية، دار التربية،(بغداد-لات).

٤١- كرم، سمير، الموسوعة الفلسفية، ترجمة سمير كرم،ط٣،دار الطباعة،(لامك-١٩٨٣).
٤٢- الكلاباذي، ابو بكر محمد، التعرف لمذهب اهل التصوف، تقديم محمد أمين النواوي،ط٢،(لامك-١٩٨٢).
٤٣- كنج، عبد الرزاق، الغوث المنير السيد احمد الرفاعي الكبير،(لامك-١٩٩٨).
٤٤- متز، آدم ،الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة محسن عبد الهادي أبو رويدة، دار الكتاب العربي،(لامك-لات).
٤٥- مدني، عبد الحفيظ محمد، أخبار الحلاج، مكتبة الجندي،(مصر-١٩٧٠).
٤٦- مغنيية، محمد جواد، نظرات في التصوف والكرامات،ط١،المكتبة الأهلية،(بيروت-لات).
٤٧- النووي، محي الدين أبو زكريا ياسين شرف، بستان العارفين، علق عليه محمد الحجار دار احياء التراث العربي،(بغداد-١٩٨٤).
٤٨- رياض الصالحين تحقيق محمد محمد ثامر، دار الفيان،(مصر-لات).
٤٩- النقشبندي، الشيخ أمين، ما هو التصوف، الدار العربية،(بغداد - ١٩٨٨).
٥٠- الهجويري، علي بن عثمان ،كشف المحجوب، ترجمة أسعاد عبد الهادي قنديل ،ط/١،دار النهضة،(بيروت-١٩٨٠).